

الخلفية الفكرية للمصطلح في العلوم الانسانية والشرعية

بقلم : الدكتور / أحمد رحمانى

التعدد كلما كثر استخدام المصطلح في المجالات الفكرية و الثقافية المتعددة؛ إلا أن المصطلحات في هذه الحال تصطبغ بصبغة المجال المغناطيسي الذي تتكى عليه. وعليه فإن قراءة المصطلح لا يفهم فهما صحيحا؛ إلا في الإطار الفكري والحضاري الذي أنجز فيه، فهو تابع لهما لا يفهم إلا بفهمهما فهما دقيقا.

وقد لاحظ ابن القيم الجوزية، وهو بصدد دراسة عدة مصطلحات قرآنية منها؛ الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاة، أن العقول مختلفة في كيفية التعامل مع هذه المصطلحات التي ترد في الآيات القرآنية تبعاً للفرق التي تنتمي إليها، فقال: " قد دخل هذه الآيات و نحوها طائفتا القدرية و الجبرية فحرفها القدرية

تمهيد :علاقة المصطلح بالفضاء الفكري: يتحكم الفضاء الفكري للأمة في أجهزتها المعرفية و المعلوماتية تحكما قويا لا يقل عن تحكمه في الجهاز المعرفي و المعلوماتي للفرد، حتى ليتمكن القول بأن الفضاء الفكري أشبه بالمجال المغناطيسي الذي يشد الأشياء المنتسبة إليه شدا عنيفا كلما دخلت مجاله.

وقد تؤدي هذه المغناطيسية بالباحث الذي لم يخرج من المجال المغناطيسي، أو ذلك الذي لم يستطع أن يتخلص من قوة جاذبيته، إلى أن يستخدم المصطلحات وفق ذلك المجال. ونتيجة لذلك تعددت استخدامات المصطلح الواحد، تبعاً لتغير المجال المغناطيسي الذي ينتمي إليه باحث ما، و يزداد هذا

* أستاذ الدراسات القرآنية ورئيس المجلس العلمي بمعهد العلوم الإسلامية بباتنة.

دراماطا) و غيرها من المصطلحات كثير، و نستمتع إليه و هو يتحدث عن الفوائد النفسية للأحزان، و علاقة ذلك بالانفعالات و التخيل فيقول: «و أما فضول النغم التي بها تكسب انفعالات النفس فجلها أيضا ليست لها عندنا أسماء (مصطلحات)، وإنما نشق أسماء أصنافها من أسماء أصناف الانفعالات، فلذلك يجب أن نعدد الانفعالات ثم نجعل أسماء هذه الفصول من فصول النغم مأخوذة من أسماء تلك، فيسمى ما يكسب الحزن؛ إما المحزن، وإما الحزني، وإما التحزين. و أحسب بعض الناس يسمي هذا الصنف من الفصول (التحزينات) و ما يكسب الأسف أسفيا و ما يكسب الجزع جزعيا... و أن تجعل أسماء غير هذه الأشكال بحسب ما هو معتاد عند أهل المعرفة باللغة من أهل ذلك اللسان، و كذلك في سائر الانفعالات". (2) فلماذا اتجه الفارابي إلى هذه الوجهة؟

إنه لم يعرب المصطلح؛ وإنما حاول أن يترجم، و في الأحسن أن يضع المصطلح و يشقه من الوظيفة التي يقوم بها، و بذلك يضمن ارتباط المصطلح بالعطاء الحضاري للأمة فكرا و عاطفة، و السبب في ذلك هو إدراك هذا

بأنواع من التحريف المبطل لمعانيها و ما أريد منها". (1) و هذا يعني أن مشكلة العلاقة بين المصطلحات و الأفكار كانت مطروحة منذ القديم؛ حتى في إطار الثقافة الإسلامية الصرفة، مما يدفعنا إلى الحديث عن ذلك.

مشكلة المصطلح عند القدماء:

قد لاقى القدماء جميعا -النقاد و الفلاسفة و العلماء و الباحثون- من المشقة في وضع المصطلحات ما نلاقيه اليوم، و ذلك أن ما ترجم لهم من معارف يجمّل من المصطلحات ما لا قبل للعربي به؛ إما لأن طبيعة اللغة و النمط الفكري كانا يختلفان اختلافا واضحا من مجتمع إلى مجتمع، و إما لأن مجالا معينا من مجالات المعرفة كالسرح و الفلسفة و الأخلاق كان يتميز بسمّة بارزة في أمة، و لم يكن له وجود في أخرى، فلما ترجمت تلك النصوص جميعا، اصطدم بها القراء قديما كما نضطدم بها نحن اليوم؛ و لكن ماذا كانوا يصنعون؟ إن الفارابي يمكن أن يكون مثلا لذلك في حديثه عن هذا الأمر، إذ استوقفه أمر تعريف مصطلحات مثل (طراغوديا، يثرمين، قوموديا، أيامبو،

